الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين وموقفه من المجبرة

بقلم : د . أحمد محمود صبحي

أستاذ الفلسفة الاسلامية المساعد
كلية الآداب ـ جامعة صنعاء

هو يحيى بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم بن إسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، الملقب بالهادي إلى الحق ، ولد بالمدينة عام ٢٤٥ هـ ، أخذ العلم عن أبيه الحسين وعن عميه محمد والحسن .

طلب بعض روساء القبائل في اليمن مقدمة من بلدته الرس ـ قرب المدينة المنورة ـ فحضر الى صعده ونجران عام ٢٨٠ هـ داعيا الى المذهب الزيدي ، وقد أعانه عامل صنعاء ـ أبو العتاهية عبد الله بن بشر ، على انتزاعها من ولاة العباسيين ، ولكن أهلها خذلوه إذ حرم عليهم الفساد والمنكرات فترك اليمن عائدا الى الحجاز ، ولكن بعض قبائل اليمن الحت عليه في العودة ، فعاد الى صعدة عام ٢٨٤هـ ومنها الى نجران ثم دخل صنعاء في شهر المحرم من عام ٢٨٨ هـ ، وخطب له بالامامة على المنابر وارسل ولاته على المخاليف ، ولكن الأمر لم يستقر له إذ خرجت عليه بعض القبائل سواء لانه منعهم المنكرات او مناصرة منهم لآل يعفر ولاة بني العباس ، على أن أعنف المعارك وأشرسها ما كان بينه وبين القرامطة من طائفة الاسماعيلية وداعيتهم باليمن أنذاك علي بن الفضل حتى يقال إنه كان بينهما اكثر من سبعين معركة في خمس سنوات ، وقد اصيب الهادي بجراح في إحدى معاركه معهم: وتوفي مسموما في عشرين من ذي الحجة عام ٢٩٨ هـ ودفن بصعدة .

وقد كان الهادي داعية الى حكم اسلامي على المذهب الزيدي ، اذ حدد اصول الدين في معرفة الله وتوحيده والعدل ، والوعد والوعيد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والخروج مع أئمة آل البيت من ولدي الحسن والحسين : وكان في دعوته الناس الى مبايعته يشترط على نفسه أربعة شروط :

- الحكم بكتاب الله وسنة نبيه .
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

* لا تشير المراجع التي رجعت اليها الى فترة قضاها الامام الهادي في الخارج ، سافر فيها الى طبرستان ولا بد انه مر بالعراق واتصل بكبار رجال المعتزلة فيها اذ نجده كما سيتبين فيما بعد متكلماًمن الطراز الاول .

- أن يؤثر اتباعه على نفسه فلا يتفضل عليهم وأن يقدمهم عن العطاء قبله .
- أن يتقدمهم عند لقاء عدوه وعدوهم .

واشترط لنفسه عليهم شرطين :

- النصيحة لله في السر والعلن .
- الطاعة له في كل الحالات ما أطاع الله فيهم ، فان خالف فلا طاعة له عليهم ، وإن مال او عدل عن كتاب الله فلا حجة له عليهم(١) .

الهادي وموقفه من القائلين بالجبر :

تناول المعتزلة موضوع حرية إرادة الانسان في اصل العدل ، ذلك ان القول بالجبر يتنافى مع مفهوم العدل الآلهي حسب تصور المعتزلة ، اذ كيف يحاسب الله العباد على ما اكرههم عليه او قضاه وقدره عليهم ، ان ذلك يتنافى مع عدله ، بل في ذلك ما ينطوي على نسبة الظلم اليه سبحانه ، اما الزيدي ومنهم الهادي فقد عالجوا موضوع حرية ارادة الانسان في اصلين : العدل ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ذلك أن مسألة : **هل** الانسان مخير ام مسير ليست موضوعا عقائديا خالصا وانما لها جانبها السياسي ، والزيديه فرقة سياسية بقدر ما هي مذهب ديني ، والقول بالجبر يناهض موقفهم السياسي بقدر ما يعارض مذهبهم الديني ، اذ يذكر الامام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى ان مذهب الجبر كان اول ما ظهر في دولة معاوية وملوك بني مروان(٢) ، اذ اراد الامويون ان يثبتوا في أذهان الناس وأفئدتهم أن وصولهم الى الحكم وسلطانهم على الناس ليس الا قدرا من الله قد قدر ، وروج لذلك شعراؤهم وظاهرهم عليه قراؤهم(٣) ، وقد كتب ابن عباس الى المجبرة من قراء الشام يلعنهم لمظاهرتهم العاصين ولكونهم أعوان الظالمين الذين يحملون اجرامهم على الله وينسبون شر فعالهم اليه ، وحينما اشتكى فريق من الناس الى عبد الله بن عمر : يا أبا عبد الرحمن ، ان اقواما يزنون ويشربون الخمر ويسرقون ويقتلون ويقولون : كان في علم الله فلم نجد بدا ، غضب ابن عمر قائلا : سبحان الله العظيم قد كان في علمه انهم يفعلونها ولم يحملهم علم الله على فعلها ، وحينما قتل عبد الملك بن مروان احد مناوئيه وهو عمر بن سعيد خرج الى الناس فقيه موافق للخليفة يقول : ان امير المؤمنين قد قتل صاحبكم بما كان من القضاء السابق والأمر النافذ(٤) .

خلاصة القول ان الانظمة السياسية التي تقوم على الغصب والغلبة في ظل

---

(١) علي بن محمد بن عبد الله العباسي العلوي (ابن علي الهادي) وتحقيق سهيل زكار : سيرة الهادي الى الحق يحي بن الحسين ص ٤٨ وراجع ايضا محمد بن محمد زبارة : أئمة اليمن ص ١٠ .

(٢) ابن المرتضى (الامام المهدي احمد بن يحي) : المنية والامل في شرح الملل والنحل ص ٧ ــ ٨

(٣) الاصفهاني : الاغاني جزء ١٠ ص ٩٩ وجولد تسيهر محمد يوسف موسى وآخرين : العقيدة والشريعة في الاسلام ص ٨٧

(٤) ابن قتيبة : الامامة والسياسة جـ ٢ ص ٤١ ، وحينما سيق الامام علي زين العابدين الى والي العراق عبيد الله بن زياد عقب كارثة كربلاء وعرف ان اسمه علي قال ابن زياد : الم **يقتل الله** عليا ، وكان لزين العابدين اخ اسمه علي قتل في المعركة ــ فرد الامام زين العابدين : بل **قتله الناس** .

حضارة تقوم على فكر ديني انما تتخذ من مبدأ القضاء والقدر ومن القول بالجبر « أيديولوجيه » تدعم بها حكمها وتثبت بها سلطانها على الناس ، ومن ثم فان الاحزاب المعارضة ـ ومنها الزيدية ـ لا بد لها أن تتبنى القول بحرية ارادة الانسان .

اريد ان اقول إن أئمة الزيدية لم ينظروا الى المجبرة على أنهم مجرد خصوم في المذهب أو المعتقد وإنما أعداء لهم في السياسة ، ومن ثم كانت الحدة في لهجة الهادي يحيى بين الحسين في ردوده على الحسن بن محمد بن الحنفية ومن ثم ايضا هاجم الهادي القول بالجبر لا في اصل العدل فحسب بل وفي اصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ايضا ، وهو اصل سياسي بقدر ما هو ديني في مذهب الزيدية ، يقول الهادي : وإنما يظلم الظالمون ويتسلطون على الناس بأعوانهم .. ولو تفرق الاعوان عنهم لم تقم لهم دولة ولكنهم يتقوون بهم على باطلهم فيستضعفوا المستضعفين ، ... والمستضعفون من الرعية اصناف ، منهم قوم قاموا بالجبر ونسبوا افعال العباد الى الله ، وقالوا : ان هذا الظلم الذي نزل بنا من قضاء الله وقدره ، ولولا ان الله قد قدره علينا ما قدر الظالم أن يظلمنا ، فان كان هؤلاء ينسبون شرار افعال الخالق الى الله فكيف يدعونه ، وكيف يستعينون به على ظالمهم ، انهم يدعون آلههم الذي قضى عليهم الظلم وقدره ، لا إله العالمين العادل في حكمه المنزء عن افعال العباد ، ولذا اسلمهم الى ظالميهم وحرمهم من توفيقه وخذلهم ولم ينصرهم ، وكيف ينصرهم على ظالمهم وهو المقدر لهذا الظلم الذي نزل بهم في تخيلهم ، اما انهم لو انصفوا وعرفوا الله حق معرفته ونفوا عنه ظلم عباده كما نفاه عز وجل عن نفسه ثم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ثم دعوا ربهم على ظالمهم لاستجاب لهم وكشف ما بهم من الظلم ، قال تعالى : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » (الروم : ٤٧)(٥)

أدلة حرية ارادة الانسان

١ ـ ادلة عقلية :

● لو كانت الأعمال جميعا بقضائه وقدره وانه شاءها وارادها لما كان بين الطاعة والمعصية فرق ، ولكان من عمل شيئا من الفعلين فهو لله مطيع ولأرادته منفذ ولمشيئته مؤد .

● ولو أن الله قضى على قوم بالمعصية لا يقدرون عمل غيرها ، ولا يستطيعون ان يخرجوا منها الى شيء من الطاعة او اعمال البر ، وقضى الى آخرين بالطاعة له وبالعمل بما يرضيه لا يقدرون ان يخرجوا من الطاعة الى العمل بشيء من المعصية ، فالى من ارسل الانبياء والى من دعوا ومن خاطبوا وعلى من احتجوا ، وما وجه حاجة العباد اليهم وقد ارسلهم الله الى قوم قد منعهم من طاعته وحيل بينها وبينهم ؟ أفتراه ارسل المرسليم عبثا أم خلق الجنة والنار باطلا ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، وانما ارسل الرسل يدعونهم الى ما هم قادرون عليه ليخرجوهم من ظلمة الشرك الى

---

(٥) الامام يحي بن الحسين دراسة وتحقيق عن عمارة : رسائل العدل والتوحيد الجزء الثاني ص ٨٥ ، ٨٦

نور الايمان ، الا تراه عز وجل يقول « الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات .. » [البقرة : ٢٥٧]

● ولو أن جميع الفواحش التي يدعو اليها ابليس شاءها الله وارادها ، فلا يكون ابليس في قياسهم عاصيا ولكان الى قضاء الله داعيا ولأصبح وليا لله مطيعا ,

واذا كان محمد داعيا الى ما أمره الله به فانظر الى حال الجاهلين من المجبرة اذ جعلوا سبيل محمد وسبيل ابليس سواء ، كلاهما يدعو الى امر الله ومراده .

● بل أخبرونا عن محمد في دعوته الناس كافة الى عبادة الله وفي نهيه لهم عن عبادة الاصنام وفعل المنكرات أفتراه لم يغير على احد من العالمين شيئا ، اذا كان من أطاع الله فقد قدرت له الطاعة ، ومن عصاه فقد كتبت عليه المعصية ، ام تراه نهى العاصين عما قضاه الله عليهم فيكون ـ صلى الله عليه وآله ـ لله عاص وعن قضائه ناه ولأمره متعد ؟

٢ ـ **ادلة نقلية :** آيات محكمات صريحة في تقرير حرية ارادة الانسان :

أ ـ الايمان والكفر ، الهدى الضلال ، الحسنة والسيئة كلها من الانسان :

« فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » [الكهف : ٢٩]
« من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون » [الروم : ٤٤]

أخبر ان افعال العباد منهم في الحالتين لا منه وأنه يجزيهم بفعلهم وعملهم لا بقضائه فيهم ولا بقدره عليهم .

ب ـ الجزاء من جنس العمل :

« ... لننظر كيف تعملون » [يونس : ١٤]
« قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » [الشمس : ٩،١٠]

وكل آيات الثواب والعقاب في كتاب الله ذكرت مقرونة بقوله : بما كانوا يعملون ـ بما كانوا يكتسبون، بما كانوا يجحدون ـ بما كانوا يصنعون ولم يقل ان ذلك بقضائه ولا بما قدره عليهم .

جـ ـ ندم المشركين يوم القيامة :

« ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا » [الاحزاب : ٦٧]

اعترافاتهم بذنوبهم وأن عملهم وما نزل بهم كان بطاعتهم لسادتهم وكبرائهم ، ولو كانت لهم في الجبر حجة لقاموا تخليصا لنفوسهم من هول ما نزل بهم : ربنا اتبعنا قضاءك فينا وما قدرته علينا .

ء ـ آيات النهى تتضمن حرية الارادة :

« لا تفتروا على الله كذبا فيسئتكم بعذاب وقد خاب من افترى » [طــه : ٦١]

افتراه نهاهم عن الكذب وقبيح اللفظ ثم قضاه عليهم (٦)

هــ : آيات مبدوءة بلفظة « لو » لتدل على انهم يقدرون على فعل غير ما فعلوا :

« ولوأن اهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأ دخلناهم جنات النعيم »[المائدة : ٦٥]

« ولو ان اهل القرى آمنوا ولفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » [الاعراف : ٩٦]

الا ترى كيف أخبر سبحانه عن تمكينه لعباده وتخييره لهم وما اقدرهم عليه من عمل الطاعة او المعصية .

على ان المقدرة الكلامية لا تتجلى فيما يسوقه المتكلم من أدلة عقلية ونقلية للاحتجاج بها على صدق موقفه واتساقه مع العقيدة ، وإنما حينما يجد نفسه ملزما بتنفيد حجج خصومه ودعاويهم ، ولقد كان الهادي مقيدا بالرد على الحسن بن محمد بن الحنفية* الذي ساقه تدليلا على موقف الجبر من الآيات والمواقف ما لايثبت لها الا من كان متمكنا من التفسير ضليعا في اللغة بارعا في الكلام ، كان مقداما في معاركه الكلامية بقدر ما كان جرئيا في معاركه الحربية ، ويحمد للهادي انه لم يلجأ الى ما لجأ اليه كثير من المتكلمين من أساليب اذ يشوهون آراء خصومهم ويلوون كلامهم ليسهل لهم تفيدها ودحضها ، وانما قدم اقوال الحسن بن محمد بن الحنفية بنصها الدقيق ، ومن ثم نجد انفسنا امام آراء يسهل جمعها لتشكل وجهة نظر متكاملة للقائلين بالجبر : وان كان ذلك قد وضع الهادي في موضع دقيق اذ عليه ان يقتحم حصون خصومه معاقلهم ، ولم يتردد في ذلك .

دحض حجج المجبرة وتفنيد دعاويهم

١ ـ أليس كل شيء يقع بارادة الله ووفقا لمشيئته ؟ اليس هو القائل « فعال لما يريد » ؟

الجواب : الارادة من الله على معنيين بينين : ارادة حتم وجبر ، وارادة امر معها تمكين وتفويض ، فاما ارادة الحتم والجبر والقسر فهي ارادة الله خلق

---

(٦) الامام يحي بن الحسين : رسائل العدل والتوحيد الجرء الثاني ص ٥٠ ـ ٥٤

* يشير محقق كتاب رسائل العدل والتوحيد ـ محمد عمارة ـ ان الحسن بن محمد بن الحنفية ليس حفيد الامام علي ابن ابي طالب لأن هذا الحفيد كان يرى رأي لمعتزلة في العدل والتوحيد وانما هو احد اثنين : إما الحسن بن علي بن محمد بن الحنفية او الحسن بن علي ابن الحسن بن علي بن محمد بن الحنفية ، وقد كانا من ائمة الكيسانية ويدينون بأفكار الجبر والتشبيه (هامش ص ١٢٠ من الكتاب المذكور)

السموات والارض وما بينهما من الخلق من الملائكة والجن والانس والطير وغيرها فجاء خلقه كما اراد ، وارادة الله هذه لا تتقدم فعله ، بل ارادته للشيء ايجاده وكونه ، لا وقت بين ارادته للشيء وبين كونه فهو القائل : انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون » [النحل : ٤٠]

واما الارادة الثانية فهي ارادة امر فيها تخيير وتحذير ومعها تمكين وتفويض ، اراد من عباده عبادته حين قال : وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » [الذاريات : ٥٦] . وقضى عليهم هذه العبادة بقوله « وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا » [الاسراء : ٢٣] ، اراد منهم عبادته والبر بالوالدين بعد ان مكنهم من نلك وأعطاهم من الآلات (الجوارح او الاعضاء) ما معه يختارون طاعته ويؤثرون مرضاته ليثيبهم على الفعل او ليعاقبهم على الترك ، ولو ارادمنهم الطاعة او المعصية قسرا لما كان المذنب العاصي اولى بالعقوبة من المهتدي الطائع ، ولما كان العامل بالطاعة أحق بالتوبة من فاعل المعصية .

بين سبحانه ما كان منه فعلا وما كان منه امرا ، فلم يأمرهم او ينهاهم فيما هو حتم عليهم ، فلم يقل موتوا او لا تموتوا او اخلقوا انفسكم على هيئة كذا او لا تخلقوا ، كما لم يقل فيما أراده منهم فعلا باختيارهم : قضينا عليكم العاصي فبقضائنا انتم عاصون ، فتبارك الذي اذا اراد شيئا كان ولكن فعله عن افعال العباد بائن .

أما قوله تعالى : « ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ، ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم » [هود : ١١٨ ، ١١٩] ففي نلك اخبار عن قدرته اذ لو شاء سبحانه ان يجعلهم امة واحدة لجعلهم قسرا ولادخلهم في طاعته جبرا ، ولكنه لم يرد قسرهم على نلك ليثبت على عملهم المتابين ويعاقب على اجترامهم المعاقبين ، واما قوله « ولا يزالون مختلفين » اي لا يزال اهل الحق لأهل الباطل مخالفين وعليهم في باطلهم وفسقهم منكرين ، « ولذلك خلقهم » رب العالمين وبه امرهم ، خلق جميع خلقه ليعبدوه لا ليعصوه وأمرهم ان يطيعوه ولا يخالفوه ، وان يجاهدوا الكافرين كافة اجمعين حتى يفيئوا الى طاعة رب العالمين ، فخلقهم لما شاء من نلك وشاء ما امرهم به من طاعته ومجاهدة اعدائه « وقاتلوا المشركين كافة »

ولا يخرج عن هذا المعنى تفسير الهادي للآيات التي تبدأ بقوله تعالى : « ولو شاء ربك .. » كقوله « ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا » [يونس . ٩٩] .. « فلو شاء لهداكم اجمعين » [الانعام . ١٤٩] ، اي انه لو شاء ان يجبرهم على الايمان والهدى مشيئة حتم وجبر لامكنه نلك ولما امكن لواحد من خلقه ان يخرج عما حتم الله ويجبره عليه .

٢ ــ المقدر والمكتوب ! اليس كل عمل الانسان كان من قبل في الكتاب مسطورا ؟

يرد الهادي على نلك بشرح المعاني المختلفة للفظ « الكتاب » حسبما وردت في

القرآن ، اذ لفظ الكتاب على وجوه شتى :

● الكتاب بمعنى العلم الآلهي كقوله تعالى : « وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب » [فاطر : ١١] « ما اصاب من مصيبة في الأرض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها » [الحديد : ٢٢] اي في علم الله من قبل ان يخلق الخلق ، « كتب الله لاغلبن انا ورسلي » [الانعام : ٥٤] اي علم الله .

● وكتب بمعنى فرض : « وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين » [المائدة : ٤٥] اي فرضنا عليهم .

● والكتاب هو القرآن في قوله تعالى « نلك الكتاب لا ريب فيه » [البقرة :٢]

● وكتب بمعنى اوجب في قوله تعالى « كتب على نفسه الرحمة » [الانعام : ١٢] اي اوجب على نفسه الرحمة والكاتب والمكتوب ـ اي الموجب والموجب عليه ، في هذا الموضع واحد وهو الله رب العالمين(٧)

نعود الى المعنى الاول وهو المقصود في موضوعنا هذا ، يرى الهادي أن المقصود باللوح المحفوظ والكتاب المسطور هو العلم الالهي المجرد ، فتمشيا مع نزعة الزيدية في التنزيه الآلهي يستبعد الهادي المفهوم الحسي المباشر من لفظي « اللوح » او « الكتاب » ، فلا لوح محسوس ولا كتاب مكتوب مقروء ، وانما يحتاج الى كتابة المعلومات (من ينسى) ومن يكل علمه في بعض الحالات ، اما رب الارباب المحيط بكل الاسباب ـ الذي لا يضل ولا ينسى ـ فكل ما عمل الخلق في العلم مستطر أي معلوم مختبر (٨)* .

هكذا اقترن الجبر بالتشبيه كما اقترنت حرية الارادة بالتنزيه ، يؤمن المجبرة ان السعيد من سعد في بطن امه وان الشقي من شقي في بطن امه وان نلك كله في الكتاب مسطور قبل خلق الخلق وان الاقلام قد جفت وان الصحف قد طويت وان لا محيص للانسان من فعل ما هو مقدر له مكتوب عليه بينما يؤمن القانون بحرية ارادة الانسان من معتزلة وزيدية ان اللوح والكتاب تعبيران مجازيان عن علم الله السابق الذي لا يكره انسانا على فعل ما طاعة او معصية .

٣ ـ **والقسمة والنصيب** ! ألم يقسم الله العقول بين الناس على تفاوت وجعل انصبتهم من الفهم والتمييز درجات ؟ ولو كانت العقول سواء لما كان فيهم جاهل وعاقل ، واحمق وحكيم (او حليم) وكل في عمله يحسب انه يحسن صنعا .

---

(٧) المرجع السابق . ص ٩٦

(٨) المرجع السابق ص ١٥٧

* ترى المعتزلة والزيدية رأي الهادي في انه لا لوح على الحقيقة بل مجاز لان المخلوق فقط هو الذي يحتاج الى اللوح والكتابة ونلك نظرا لغفلته ونسيانه ونلك كله غير جائز على الله ، على ان الامام المهدي ـ احمد بن يحي بن المرتضى ـ خالفهم في نلك وأجاز ان يكون لوح على الحقيقة لتعليم الملائكة بما يقضيه الله على عباده على أن القاسم بن محمد في كتابه الاساس وأيده الشرفي في عدة الاكياس (مخطوط) قد علق على نلك بان لا نليل نقلي على رأي الامام المهدي .

ويرد الهادي :

أ ــ ان الله أوجد العقول في العباد حجة عليهم داعية الى الهدى مخرجة من الضلالة ثم امرهم ان يستعملوها حتى يفكروا وينظروا ويميزوا ويتدبروا .

ب ــ ان اقل قدر من هذا العقل اكثر ما يحتاجون اليه في اداء ما افترض عليهم وذلك ان استعملوه ، ومن ثم لا ينكر المشركون خلق السموات والارض ، ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم » [الزخرف : ٩]

جـ ــ ان ضلال من ضل راجع الى عدم استعمال ما وهبهم الله من عقول ومن ثم امر الله بالنظر والتفكير والتدبير ، نظر قوم وفكروا فانصفوا عقولهم وابصروا فاهتدوا وعرفوا الحق فرشدوا ، ولم يستعمل قوم عقولهم فخالفوا وجحدوا وضلوا واضلوا واتبعوا الهوى وتركوا فغذوا وعاندوا .

ليس للعباد على خالقهم من حجة اذ ركب فيهم من العقل ما كفاهم وبصرهم وهداهم ، ثم بعث اليهم المرسلين مبشرين ومنذرين « ليهلك من هلك عن بينه ويحيى من حى عن بينة » [الانفال : ٤٢]

واجابة الهادي مع ما فيها من تقدير لدور العقل في الايمان ومن تدليل على تمجيد الاسلام للعقل وحثه على النظر والتفكير فان السؤال ما زال قائما : الناس متفاوتون في قسمة الله العقول فيما بينهم بينما كلهم في التكاليف والفروض سواء ٠ فيما هبوا متفاضلون متمايزون وفيما افترض عليهم متساوون

ويؤكد الهادي ان ما أوجبه الله على خلقه من فروض انما يمكن اداؤها باقل القليل مما ركب فيهم من عقول ، فساوى بين عباده فيما اليه يحتاجون من أجل تأدية الفروض والواجبات ، ثم زاد بعد ان ساوى بينهم في الحجة ــ أي قدر العقل الذي تحج به على العباد ــ من شاء ، وضاعف له العطاء والكرامة ، كما زاد بعضهم بسطة في العلم والجسم ، فليس لاحد على الله في ذلك من حجة ، اذ قد انالهم من ذلك اكثر من البغية لئلا يكون للناس على الله من حجة فيما فضل بعضهم على بعض* .

أما الذين سلبوا العقل او لم يبلغوا الحلم فلم يوجب الله عليهم الأعمال بل

* وبعد ان ساوى الله فيما افترضه على عباده من تكاليف عقلية (خلقية) وشرعية (دينية) حسب القدر القليل الذى يطبقه الحمقى والجهلاء والاغبياء فضلا عن العلماء والحكماء كان يستطيع الهادي ان يضيف ان هناك من الواجبات ما يسأل عنها من بسط الله لهم في الرزق او الملك او العلم ، اذ يسأل الاغنياء فيما لا يسأل عنه الفقراء « ولتسألن يومئذ عن النعيم » وعن ماله يسأل الغني من اين اجتباه وفيم انفقه ، ويسأل الامراء فيما لا تسأل عنه الرعية اذ لك راع مسئول عن رعيته ، ويسأل العلماء ويحاسبون فيما لا تسأل عنه العامة ولا تحاسب ، يحاسب العالم عن عمله ان ضين فلم يخرجه للناس او ان لم يعمل بما علم » ومن ثم فان اول ما تحمى به جنهم عالم لم يعمل بما عمل وحاكم ظالم ومن كنتم علما ينتفع به الناس الجمة الله بلجام من النار فالتكاليف العقلية والشرعية فرض تجنى تجب على النالس اجمعين بينما هناك واجبات اخرى هما فرض كفاية تجب على العلماء ومن في حكمهم ممن زادهم الله بسطة في العلم وتسقط عن العامة .

ازاحها عنهم لقول الرسول صلى الله عليه وآله : رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق وعن **الصبي** حتى يحتلم .

آيات متشابهات ظاهر معناها الجبر :

١ ـ الفاظ قرآنية يفهم الجبر من معناها الظاهري :

واذا كانت مقدرة الهادي على الجدل والكلام قد تجلت فيما عرضنا له ، **فان في** تأويله لآيات الكتاب التي ظاهرها يفيد الجبر يتجلى تمكنه من التفسير والتأويل فضلا عن اللغة والبلاغة ، وهذه الآيات إنما افاد الجبر معناها الظاهري لما اقترنت به من الفاظ او مصطلحات يوهم الجبر معناها المتداول لدى الناس ، ولكنها في القرآن ذات دلالات محددة تغيب عن اكثر العقول ولا يدركها الا العاملون المستبصرون ، من ذلك الفاظ الضلال **والغي** والقضاء فضلا عن الغشاوة والاكنة والوقر **التي جعلها** الله على الابصار والقلوب والآذان ، ولنستعرض بعض هذه الآيات **ومعاني** ما فيها من مصطلحات :

أ ـ الضلال :

« ومن يرد ان **يضله** .. » [الانعام : ١٢٥]
« واضله الله على علم ... »[**الجاثية** : ٢٢]
« يضل من يشاء ويهدي من يشاء » [النحل :٩٣]
« **ويضل الله** الظالمين » [ابراهيم : ٢٧]
« وكذلك **يضل الله** من هو مسرف مرتاب »
« ان هي الا **فتنتك تضل بها من تشاء** وتهدي من تشاء » [الاعراف : ١٥٥]

يستعرض الهادي معاني لفظ الضلال كما ذكرت في القرآن فيراها قد جاءت على وجوه ستة :

● ضلال عن الطريق المستقيم او عن سواء السبيل كما في قوله : « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » [الفاتحة : ٧]

● ضلال بمعنى الجهل « ووجدك ضالا فهدى » اي جاهلا بشرائع النبوة فهداك « فعلتها اذن وانا من الضالين » [الشعراء : ٢٠] اي من الجاهلين « ان ابانا لفى ضلال مبين » [يوسف : ٨] اي في جهل ..

● الضلال بمعنى النسيان « إن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى » [البقرة : ٢٨٢]

● الضلال بمعنى الابطال او الاحباط « الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم » [محمد :١] « والذين كفروا **فتعسا لهم** واضل اعمالهم » [محمد : ٨]

●الضلال بمعنى الغواية او الافساد وهذا قد ذكر منسوبا الى ابليس او فرعون او كبراء الظالمين « واضل فرعون قومه وما هدى » [طـه : ٧٩] اي اعواهم وارداهم ولم يرشدهم .

● وأما المعنى السادس فهو الذي ذكر منسوبا الى الله مثل يضل الله من يشاء » « واضله الله على علم » ونحو هذا في القرآن كثير ومعناه في كل ذلك انه يوقع الله عليه اسم الضلال ويسميه به بعد العصيان والطغيان لا انه يغويهم عن الصراط المستقيم كما اغوى واضل فرعون قومه (٩) ، وقد يأتي الاضلال من الله بمعنى اهماله وترك تسديده وتوفيقه للخير بعد ان عاند واصر على كفره(١٠) . ولكن الله لا يضل اضلال بمعنى الاغواء ، وانما تفسر هذه الآيات المتشابهات في ضوء الآية المحكمة « قل إن ضللت على نفس وإن اهتديت فيما يرجى الى ربي .. » [سبأ : ٥٠]

فمعنى قوله « ومن يرد أن يضله » ان يوقع عليه اسم الضلال بعد ان اصر على عدم الايمان وختام الآية .. كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون » واما قوله « واضله الله على علم » فتفسر في ضوء اول الآية ، « افرأيت من اتخذ الهه هواه ... » فأضله الله بعد ماكان منه لعلمه انه لا يؤمن ، **لم يدخله العلم في شيء ولم يحل بينه وبين شيء** ، وأما قوله « يضل من يشاء ويهدي من يشاء » فلو اراد ان يضل الخلق جميعا او يهديهم جميعا لكان غير مغلوب ، غير انه لم يرد الا ان يكون الامر من جهة التخيير لعباده (١١) ، واما قوله : ويضل الله الظالمين » او الكافرين او الفاسقين او من هو مسرف مرتاب فمعناه انه اطلق عليهم اسم الضلال بعدما كان من ظلمهم او كفرهم او فسقهم او اسرافهم ، واما قوله : « ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء .. » اي ان هي الا محنتك توقع اسم الضلال على من ضل **بعد** هذه المحنة وقد قامت لفظة « بها » محل « بعد » كما في قوله تعالى « وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم » [الرعد ٦] اي بعد ظلمهم اذا تابوا .

ب ـ الهدى :

الهدى من الله هديان : هدى مبتدأ وهدى مكافأة ، فأما الهدى المبتدأ فيه هدى الله البر والفاجر وهو العقل والرسول والكتاب وهو المقصود في قوله تعالى : « فأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » [فصلت: ١٧] ، والهدى الثاني جزاء على العمل ومكافأة على الفعل « والذين اهتدوا زادهم هدى واتاهم تقواهم » [محمد : ١٧]

وأما قوله تعالى : « إنك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء »

---

(٩) المرجع السابق ص ٩٠
(١٠) المرجع السابق ص ٣٧
(١١) المرجع السابق ص ٣٦

[القصص : ٥٦] وقوله : ولو شاء لهداكم اجمعين .. [الانعام : ١٤٩] فالمعنى انه لو شاء ان يجبرهم على الايمان والهدى مشيئة حتم وجبر لامكنه ذلك ولما امكن لاحد من خلقه ان يخرج عما حتم الله وجبره عليه(١٢) .

جـ - الطبع - الختم :

تقول المجبرة : أيستطيع ان يؤمن من طبع الله على قلبه وختم على سمعه وبصره ؟ ويجيب الهادي : ان الله لم يرد بقوله اذا طبع على قلوبهم انهم لا يقدرون على الفهم ولا حين ختم على سمعهم انهم لا يقدرون على السمع او الاستماع ولا على البصر فلا يقدرون على الابصار والانطباع وانما الختم والطبع من الله على معنى التمثيل فكان امتناعهم عن قبول الايمان كمن طبع على قلبه وحرم من التمييز فكان حالهم كحال البهائم التي حرمها الله من العقل والتمييز ولذا شبههم الله بها اذ يقول : اولئك كالانعام بل هم اضل .. » [الاعراف : ١٧٩] وقال « ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا » [الفرقان : ٤٤] هم اضل سبيلا لأنهم اعطوا الفهم والتمييز والنطق ما لم تعطه البهائم التي حجر عنها الله ذلك كله ولكنهم ابوا إستعمال ما ركب فيهم .

وقد يكون الختم بمعنى الختام كما يقال محمد خاتم النبيين ، علم الله أن خاتمة اعمالهم معصية وانهم يلقونه يوم الحشر كفارا ، ختم على قلوبهم اي حين علم ان ذلك آخر اعمالهم فختم بذلك عليها اي سماهم بما يكون من آخر اعمالهم وقد كان العمل منهم اختيارا كما كان ما قاله الله فيهم منه اخبارا .

أما الطبع على القلوب فان العرب تقول : طبعت فلانا اي اظهرت عيبه وكشفت سريرته فيكون طبع الله للقلوب هو ما ذكر واخبر به عنها من باطن اسرارها وفاحش اضمارها .

ء - الأكنة - الوقر :

قريب من معنى الطبع والختم ما اخبر به الله من الاكنة والوقر في قوله تعالى : إنا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا [الكهف : ٥٧]

يقول الهادي : دعاهم الرسول الى الحق فردوا استهزاء وعبثا : قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب .. » [فصلت : ٥] ، فالمراد انهم حين ادعوا انا جعلنا على قلوبهم اكنة فالزور قالوا وبالباطل تكلموا ، فقوله تعالى : انا جعلنا على قلوبهم اكنة .. » المراد به « ائنا جعلنا على قلوبهم اكنة ، فالخطاب يخرج من معنى التقرير الى الانكار عليهم والتكذيب لهم والتقريع بكذبهم ، قال تعالى : إنا .. والمقصود « ائنا ، والعرب تطرح الالف في كلامها وهي تريدها فيخرج لفظ الكلام لفظ اخبار وايجاب وتقرير والمعنى استفهام ونفي وتقريع ، اراد

---

(١٢) المرجع السابق ص ٩٦ والآية هي : « ارايتم من طبع الله على قلبه وختم على سمعه وبصره »

بقوله : « انا جعلنا التقريع لهم وايقاف نبيه على كذبهم ، ولو كان الأمر على ما يقولون وكنا قد فعلنا بهم ما يذكرون فـ « ان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذن ابدا » لم ارسلناك اذن لتدعهم الى الهدى[13]* .

هـ ـ الاغراء والاغواء : هل يقعان من الله ؟

قال تعالى : ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به **فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء** الى يوم القيامة » [المائدة : ١٤]

وقال تعالى : ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله **يريد ان يغويكم** هو ربكم واليه ترجعون » [هود : ٣٣ ، ٣٤]

أما الآية الاولى فقد ذكر الله النصارى أن يتركوا ما أخذوه ـ من تأليه المسيح ـ وان يأخذوا ما تركوه ـ من القول ببشريته فكان ذلك ميثاقا اخذناه منهم فلما تركوا ما ذكرناهم به غريت بينهم العداوة والبغضاء اذ اختلفوا فيه ـ في صلة اللاهوت بالناسوت فيه ـ وكفر بعضهم بعضا (كفرت اليقاقبة والملكانية النساطرة) فكان هذا الاغراء بالعداوة والبغضاء نتيجة فعلهم حين نسوا ما ذكروا به ومعنى غريت بينهم العداوة اي سرت فيهم واولعوا بها ولو نحاين عند انفسهم لم يحملهم على ذلك حامل[14] .

واما الآية الثانية فالاغواء من الله لا بمعنى الغواية وانما بمعنى العذاب ، يقول تعالى في موضع آخر : « فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون **غيا** » [مريم : ٥٩] اي عذابا .

و ـ الذرو :

تقول المجبرة : هل يستطيع من ذرأه الله لجنهم ان يؤمن ، وهل يستطيع احد ان يخرج او ينتقل مما ذرئ له الله يقول « ولقد **ذرأنا لجنهم** كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها » [الاعراف : ١٧٩]

يشعر الهادي في رده الى نوعين من الذرو ، اما الذرو الاول فهو المذكور في آية الميثاق واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة « انا كنا عن هذا غافلين » [الاعراف : ١٧٢] ، وتفيد الآية ان الايمان هو الاصل والمبدأ والفطرة ، واما

(١٣) المرجع السابق ص ٢٣١
(١٤) المرجع السابق ص ٢٣١

* لا تذهب التفاسير الاخرى الى هذا الرأي وتفسير الهادي فيه تكلف اذ لا مجال لنفي الاكنة التي جعلها الله في قلوب الكافرين ، اذ هي قد وردت في سور الانعام والاسراء فضلا عن الكهف وفصلت ، وانما قد جعل الله الاكنة بعد ان اقام عليهم الحجة ودعاهم الى الهداية فاصروا على العناد فأدى بهم عنادهم الى ان لا يفقهوا القران حين يستمعون اليه فليست الاكنة في القلوب او الوقر في الاذان سبب ضلالهم وانما نتيجة لهذا الضلال ، وانما قد جعلها الله بعد ان ضلوا لا قبل ان يضلوا » وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ... » (الآية السابقة عليها)

الذرو الثاني فهو يوم الدين اذ يذرأ الله لجنهم جميع من مات على كفره من الكافرين فيعذبهم على فعلهم ويعاقبهم على ما تقدم من كفرهم ولايعني ذلك ان الله خلق للنار خلقا تعمل بالمعاصي ابدا كما خلق للجنة اصحابا مجبولين لله على الطاعة ويمكن ان يضيف الهادي ان الذرو الاول يفيد ان الخلق جميعا قد خلقوا مجبولين على الايمان شاهدين على انفسهم بذلك حتى اذا جاء الذرو الثاني يوم القيامة اقروا على انفسهم بالغفلة عما سبق ان شهدوا به واقروه .

ونختتم هذه المصطلحات القرآنية التي أثارتها شبهات المجبرة بأهم لفظ يوهم الجبر وأعني به القضاء .

ز ـ القضاء الآلهي :

ذكر القضاء في القرآن على عدة وجوه :

● قضى بمعنى اعلم وذلك في قوله تعالى : « وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين » [الاسراء : ٤] وكذلك قوله : « وقضينا اليه ذلك الأمر » [الحجرات : ٦٦] اي اعلمناه .

● والقضاء بمعنى الأمر « وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه » [الاسراء : ٢٣] اي أمر

● والقضاء بمعنى الخلق « فقضاهن سبع سموات في يومين » [فصلت : ١٢] أي خلقهن ولا يقضي رب العالمين على خلقه بمعصية ثم يعذبهم عليها .

٢ ـ أفعال الانبياء ومعاصيهم : هل هي جبر ؟

أ ـ هل قدر الله على آدم المعصية ؟ فان قيل لا فكيف واهل الجنة لا يتوالدون وقد قدر الله ان تكون لآدم ذرية منهم الرسل ومنهم الصالحون ومنهم الكافرون ، كما قضى الله القيامة والحساب والجنة والنار ؟

هذه مشكلة دقيقة تبدو لدى أشد المتمسكين بالقول بحرية ارادة الانسان عسيرة الجواب ، اما وقد اثارها الحسن بن محمد بن الحنفية فان الهادي كعادته كان مقداما اذ تقدم بالرد دحضا لدعوى الجبر .

يقول الهادي : كان آدم وزوجه في جنة من جنات الدنيا* ، وقد سمى الله بعض بساتين الدنيا جنات : « ولولا اذ دخلت جنتك .. » [الكهف : ٣٩ وما قبلها بآيات ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ثم بعدها ٤٠] « انا بلوناكم كما بلونا اصحاب

---

* يشير محمد عمارة محقق الكتاب في هامش ص ١٢٦ الى ان مكان الجنة موضوع خلاف بين المفسرين ، اذ يرى ابن عباس واغلب المعتزلة انها كانت بستانا باليمن لانه جنة الخلد لا تكليف فيها ولا خروج منها ، ويرى الزمخشري والجبائي انها في السماء ـ مع انهما معتزليان بينما يرى ابو القاسم البلخي وهو معتزلي ايضا انها بأرض عدن ، اما اهل السنة فيرون انها كانت في السماء .

الجنة .. » [القلم : ١٧] ، فليست هي جنة المأوى التي لا عصيان فيها ولا خروج منها * ، ان ارادة الله وقت خلق آدم وزوجه كانت سكناهما في الجنة ومقامهما فيها ، فلما استزلهما الشيطان ونسيا ما عهد اليهما ربهما من اجتناب الشجرة اراد الله ان يهبطهما من الجنة فأخرجهما منها الى غيرها من الأرض وبدلهما بالراحة تعبا وبكفاية المؤونة طلبا وحرثا وزرعا ، كانت ارادته في وقت ايجادها الكفاية لهما وفي وقت نسيانهما ما حكم به من اخراجهماواهباطهمامنها الى غيرها ، وليس الهبوط في قوله :«اهبطامنها .. » هبوطا من السماء وانما الهبوط هو الانتقال من بلد الى بلد كقول الله لبني اسرائيل :« اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم » [البقرة : ٦١] ، اراد الله ان يسكن آدم الجنة اولا فحين عصاه اراد ان يخرج منها كما شاء ان يسكن ذريته الدنيا اولا ثم ان يخرجهم منها حين يشاء الى الآخرة : خلاصة رأي الهادي ما يأتي :

● ان جنة آدم وحواء هي جنة في الدنيا يحدد مكانها الهادي في عدن او قرب اليمن ــ ولعله استقى تحديد المكان مما ورد عنها في سفر التكوين « انها شرق عدن » وليست هي جنة المأوى ، ولكن هذا القول يثير قضية أخرى : اذا كانت هي جنة في الدنيا فهل كان يمكنهما ان ينجبا فيها لو انهما لم يعصيا ربهما ؟ كيف ولم تبدو سوأتهما ولم تستثر الشهوة فيهما الا بعد ان اكلا من الشجرة ؟

● انه لو كان قدرا مقدرا على آدم وزوجه لما اعترف آدم انه ظلم نفسه ولم سأل ربه الغفرة .

● انه لو كان قدرا على آدم وزوجه لما اعترف آدم انه ظلم نفسه ولما سأل ربه المغفرة .

ب ــ هل كان موسى مريدا لقتل المصري حين وكزه ؟ أليس نلك من قضاء الله وقدره ؟

لم يكن موسى يقصد قتل القبطي ولكنه مع نلك لم ينسب فعله الى الله وانما قال : « رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي » [القصص : ١٦] وقال : « هذا من عمل الشيطان .. » [القصص : ١٥] وحينما اتهمه فرعون بفعلته هذه قال « فعلتها إذن وأنا من الضالين » [الشعراء : ٢٠] أي من الجاهلين لعاقبة أمري(٥) .

---

* من يرى من المعتزلة ان جنة ادم كانت في الارض يرى ان الجنة والنار لم تخلقا بعد ويخالفهم جمهور اهل السنة لان القضية مرتبطة بما وصفه النبي عما شاهده في معراجه .

ومع تقديرنا لرد الهادي والمشكلة بلا شك دقيقة . وجمهور اهل السنة يشيرون الى حديث محجج ادم موسى وخلاصته ان موسى عاتب ادم حين لقيه ليلة معراج النبي اذ عصى ربه فرد ادم اتلومني على شيء قدره الله علي قبل ان اخلق بخمسمائة عام ؟ محجج ادم موسى . على اية حال الحديث عن حرية ارادة الانسان منذ ان هبط ادم الى الارض لا قبلها ولا تعارض بين الايمان ان ذلك كان قدرا على ادم في الجنه وبين الاعتقاد بحرية ارادة الانسان في الدنيا دار التكليف .

(١٥) المرجع السابق ص ١١١

جـ ـ هل كان يستطيع المسلمون يوم بدر ألا يحاربوا ؟ ولم يكونوا يودون الحرب إذ أخبر الله عنهم « وتودون انه غير ذات الشوكة تكون لكم » [**الانفال** : ٧] فان قيل نعم كانوا يقدرون فقد زعموا ـ أي القائلين بحرية الارادة ـ انهم كانوا يقدرون على ان يخلف الله وعده رسوله اذ يقول : « ويريد الله أن يحق الحق بكلماته »

يرد الهادي ردا مأخنوا من مبدأه في أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اذ يقول : كل من كان على شرعة الله تعالى من الحق فقد أراد الله منه مقاتلة من خالف عنه من الحق ، فالمسلمون مطالبون بالجهاد حتى وان كرهت النفس الحرب ، ولقد علم الله أن مشركي مكة خارجون فحكى بما علم منهم ، لم يقض الله على الكافرين بالخروج ولم يحضهم على قتال المؤمنين وانما حكى الله بما علم منهم وبشر رسوله بما سيسوق اليه من النصر والغنيمة ولو قد علم الله منهم اختيار المقام لما وعد غنائمهم نبيه .

د ـ ويوم أحد « وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله » [آل عمران : ١٦٦] الا يعنى نلك ان الله قد أنن للكافرين أن ينالوا من المسلمين بما أصابوهم من القتل والجرح والهزيمة ؟

يشير الهادي في رده الى نقطتين : الأولى تتصل بالواقعة التاريخية ـ غزوة أحد ـ والثانية تتصل بمعنى « أذن » الله ، أما الواقعة فلم ينصر الله جيش أبي سفيان على جيش رسول الله ولكنه أراد بالمؤمنين المحنة والبلاء حتى يعلم الله أهل الصبر والاحتساب والتقوى قال تعالى : « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم »[محمد :٣١] ، انهم لما خالفوا أمر رسوله وتنحوا عن باب الشعب الذي أوقفهم عليه وطمعوا في الغنائم امكن للكافرين ما ارادوا وظفروا من المسلمين ببعض ما أصابوا .

أما الاذن فعلى معنيين : ان جاء في حق المؤمنين فهو إذن أمر وارادة ومشيئة ، قال تعالى : « وما كان لنفس ان تؤمن إلا باذن الله » [يونس : ١٠٠] أي بأمر الله . فلولا أن الله امرها بالايمان لم تؤمن ، ولكن جعل في الانسان العقل وأمره بالايمان فأمن من آمن باذن الله وامره(١٦) ، وإن كان في حق الكافرين او من في حكمهم من العصاة فاذن الله هو علمه ، قال تعالى : « وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله » [البقرة : ١٠٢] أي بعلم الله وقال : « فقل آذنتكم على سواء » أي اعلمتكم ، وكذلك في الآية : « وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله » اي بعلم الله . وعلم الله السابق بشأن ما يكون من الكافرين انما هو إذن تخليه وامهال للعصاة لاثبات الحجة عليهم .

ولكن غزوة أحد تثير تساؤلا : هل ينصر الله الكافرين على المؤمنين ، فان قيل

---

(١٦) المرجع السابق ص ٩٨

لا فكيف وقد قال : « فأثابكم غما بغم » [آل عمران : ١٥٣] أي جازاكم بغم الهزيمة على الغم الذي سببتموه للرسول بعصيانه ، وإن قيل نعم فكيف وقد قال تعالى : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » [الروم : ٤٧]

يرى الهادي ان ما يكون من غلبة المشركين على المسلمين فهو ابتلاء ومحنة ليبتلي الله ما في الصدور وليمئص ما في القلوب فضلا عن ان نلك لا يكون الا عند مخالفة امر الله أو أمر رسوله ، ولكن الله لا ينصر المشركين على المؤمنين وانه لا يديل أهل الكفر والعصيان على أهل الطاعة والايمان لان الادالة تعنى التأييد والنصرة ، وقد يكون الهادي محقا اذ لم يذكر لفظ النصر في القرآن الا مقرونا بنصر المؤمنين ، وقد يكون محقا كذلك حين اعتبر هزيمة المسلمين ابتلاء لهم وتمحيصا للقلوب وتمييزا للثابتين على الايمان عن ضعاف القلوب ، ولكنه في تفسيره لقول الله تعالى : « وتلك الايام نداولها بين الناس » [آل عمران : ١٤٠] انكر ان يكون المعنى ان الله يداول الايام بين المسلمين والمشركين نصرا وهزيمة ، وصرف المداولة بالايام الى إتيان الله الليل والنهار على التعاقب او إلى مداولة الفصول او الى المداولة بالايام بين الانام بما يمن بـه عليهم من الآلاء والنعم السابقات حينا وما ينزله بهم من المصائب والنكبات حينا آخر(١٧) ، مع ان اول الآية وآخرها لاينصرف الى هذا المعنى وانما الى صراع المسلمين مع المشركين وتداول الغلبة والهزيمة بينهما اذ يقول تعالى : « ان يمسسكم فرح فقد مس القوم فرح مثله » ثم تشير نهاية الآية الى حكمة الله فيما يصيب المسلمين من فرح او هزيمة بقوله « وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء » وأن تمكن المشركين من المسلمين ليس عن تأييد من الله « والله لا يحب الظالمين ».ويبدو ان الهادي ــ الداعي الى إزالة المنكرات والى اقامة دولة العدل بحد السيف ــ لم يؤمن الا بحتمية النصر من الله مصداقا لقوله : « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » ، غير ان نلك لا ينفي أن الحرب سجال وأن الايام دول بين المسلمين وغير المسلمين لان كل ما يتصل بأمور الدنيا يشمله قول الله تبارك وتعالى : « كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا » [الاسراء : ٢٠] وان سمي علو المسلمين نصرا وتأييدا من الله وسميت هزيمتهم محنة وابتلاء او سمي تمكن المشركين إملاء وامهالا كما تسمى هزيمتهم عقوبة من الله وخذلانا .

الارزاق ــ الآجال

الله يرزق الناس جميعا بل الدواب « وما من دابة في الارض الا على الله رزقها » [هود : ٦] ، والآجال موقوتة « لكل أجل كتاب » [الرعد : ٣٨] . ذلك كله ما لا خلاف فيه ، وإنما يكون الاختلاف حينما تتعلق الارزاق او الآجال بقضية الجبر او الاختيار . ذهبت المجبرة الى ان الارزاق مقدرة مقسومة وان احدا لايأخذ الا رزقه ــ عبارة ظاهرها البراءة وتتداولها العامة في احاديثها ــ ولكنها تتضمن ان السارق او قاطع الطريق او اكل مال اليتيم او المرتشي إنما اغتصب ما

---

(١٧) المرجع السابق ص ٢٠٥

قسمه الله له ومارزقه إياه ، ومن ثم فان الله يرزق الحرام كما يرزق الحلال ، وهو ما يعترض عليه القائلون بحرية الارادة من المعتزلة والزيدية وغيرهم . كذلك القول : كل يموت بأجله اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » [يونس : ٤٩] ، ولكن ماذا عن القتيل ، ان قيل انه يموت بأجله فهذا يتضمن تبرئة القاتل اذ هو منفذ لارادة الله مجبر على فعله وذلك ما لايوافق عليه المتمسكون بمسئولية الانسان عن عمله .

١ ـ الأرزاق

تتعلق قضية الأرزاق بحرية الارادة ومن ثم بأصل العدل عند المعتزلة ولكنها لدى داعية كالهادي يجادل الظالمين ويجاهدهم تتعلق القضية بأصلي العدل الالهي والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والا فكيف يمكن مجاهدة الظالمين اذا كان ما اغتصبوه من حقوق الرعية هو رزق رزقهم الله اياه ؟ وكيف يمكن مناجزة الحكام الجائرين ان ادعوا ان المال مال الله وهم خلفاؤه في ارضه يتخذون هذا القول ذريعة ليحجروا الاموال عن مستحقيها ثم ينفقونها على ملذاتهم ويتداولونها مع بطانتهم ؟ يقول الهادي : إن الله قد حكم بالصدقات للفقراء والمساكين ..* ، افلو حرمهم من ذلك الظالمون واغتصبوا الاموال واظهروا بها الجور ايكون الله سبحانه قد رزق هؤلاء الظالمين بينما هو قد حكم به في كتابه للفقراء والمساكين ... ؟(١٩) .

وإذا كان الله قد حكم أن يكون الفيء لرسوله ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل** .. فخالف على ذلك الفاجرون ورفضوا ما أنزل على خاتم النبيين فجعلوه دولة بين الاغنياء منهم . فهل اذا نفذوا ما حكم الله به لغيرهم ايسمى ما اغتصبوه رزقا من الله لهم مع انهم على مخالفتهم لحكم الله مسئولون وعلى ذلك معزبون ؟

وهل الذين أكلوا أموال اليتامى ظلما وقد نهاهم الله عن ذلك اذ أخبر انهم يأكلون في بطونهم نارا وحكم بانهم سيصلون سعيرا** ، افيكون ذلك له رزقا ام ان الله قد نهاهم عن اكل ما رزقهم !

ثم إن غضب غاضب مالا بعد ان تعدى على صاحبه وسرقه، افلاتحكمونبرده؟ فان كان ما غصبه ـ كما تزعمون ـ بتقدير وعطاء ورزق فلا يجب عليه رده ولا أن ينازعه فيه ضده بل هو احق به وهو له ملك بتمليك الله له ، أما إن او جبتم على انفسكم اخذه من يديه ورده على صاحبه وقلتم لا يكون الا ذلك فقد اقررتم ان ما غصبه ليس رزقا من الله له ولا عطاء .

---

* الآية : « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل .. » [التوبة : ٦٠]

(١٨) المرجع السابق ص ١٧٠

**الآية : « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل . [الانفال : ٤١]

ثم انكم بقولكم ان الله يرزق الحرام كما يرزق الحلال قد نسبتم الظلم الى الله لانه يرزق عباده ويطعمهم طعاما ثم يكتبه عليهم حراما ويوجب عليهم عقابا .

فان سألتم هل يقدر أحد ان يأكل غير ما رزقه الله ؟ قيل لكم : إن مسألتكم هذه تخرج على معنيين وتنصرف الى وجهين : إن اردتم ان كل شيء مما انبت الله واخرجه رزقا للعباد فكذلك هو ، قال تعالى :وأنزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصد ، والنخل باسقات لها طلع مديد ، **رزقا** للعباد .. » [ق : ٩ ، ١٠ ، ١١] ، فكل ما اخرج قد سماه لاهله ومن يملكه رزقا ، فهو رزق لمن اجاز الله له اكله وا حل له اخذه وامره عليه بشكره ، قال تعالى « كلوا واشربوا من رزق الله .. » [البقرة : ٦٠] ، وقال : « يا أيها الذين امنوا كلوا من **طيبات ما رزقناكم ..** » [البقرة : ١٧٢] وقال : « فكلوا مما **رزقكم الله حلالا طيبا** » [النحل : ١١٤] ، فالله قد رزق العبد ما احله له وامره بأخذه ، اما ما نهاه عن اكله فليس نلك مما رزقه ، وكيف يجوز على ذي الجلال والاكرام ان يجعل لعباده رزقا وقوتا به يعيشون وفيه يتقلبون ثم ينهاهم عن اخذ ما اعطاهم واليه ساقهم(٢٠) .

تعقيب : مسألة الرزق : احلال وحرام هو ام حلال فقط ليست مجرد مسألة جدلية كلامية ولكنها متصلة كما سبقت الاشارة بأصل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا اصل عملي ، ومن ثم فان رأي الهادي يشكل عقيدة وعملا ، وليس نلك منه مجرد نهي الحكام عن منكر اغتصاب الاموال ولكنه ذهب الى ابعد نلك ، اذ نهى الرعية ان تدفع الزكاة الى حكام الجور ، انه اذا كان ما يغتصبونه فهو حرام وليس من الله رزقا فان الرعية بدورها آثمة اذ تمكنهم من البطش والباطل ومن الجور والظلم اذ تدفع لهم الأموال ، يقول الهادي : اذا دفع صاحب الزكاة الى فقير فاسق شيئا من المال فقد قواه على فسقه وفجوره ، وكان شريكا له في عصيانه : كدأب النين يعينون الظالمين ويقيمون دولتهم بزرعهم وتجارتهم وينصرونهم على قتل المسلمين وعلى انتهاك الحرمات واخذ الاموال ، ولولا التجار والزارعون ما قامت للظالمين دولة ولا ثبتت لهم داية ، ولنلك قال تعالى : « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار .. »* [هود : ١١٣] .. الحراثون يحرثون والظالمون يحصدون ، والحراثون يجوعون ويسهرون والظالمون يشبعون وينامون واعوان لا يشكرون . اولئك يسعون في صلاحهم وهم يسعون في هلاك الرعية ، هم لهم خدم لا يؤجرون على اللهو والطنابر وضرب المعازف والمزامير ، قد اتخذوا دين الله دغلا (سببا للشر) وعباده خولا (خدما) وماله دولا بما يغريهم به التجار والحراثون الذين يقولون : انهم مستضعفون كأن لم يسمعوا قول رب العالمين فيهم وفيمن اعتل بمثل علتهم اذ يحكى عنهم قولهم : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض ، قالوا : الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك

---

(١٩) الامام يحيى بن الحسين : رسائل العدل والتوحيد الجزء الثاني ص ١٦٩ ـ ١٧٥

* وتلكلمه واعوان لا يشكرون ، فراعنه جبارون واهل خنا ، (فحشن) فاسقون لا يصلحون البلاد ولا يرحمون العباد معتكفون الآية ... « .. وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون »

مأواهم جهنم وساءت مصير » [النساء : ٩٧] ويقول سبحانه : « ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض كثيرا وسعة... » [النساء : ١٠٠] فالله قد حكم بان من يهاجر من دار الظالمين ويلحق بدار الحق والمحقين يرزقه الله من الرزق الواسع مع يرغم انف من ألجأه الى الخروج من وطنه(٢٠) .

٢ ـ الآجال :

قول المجبرة في الآجال كلمة حق قد يراد بها باطل ، انهم يقولون : الآجال موقوتة ، لا يستطيع احد ان يزيد فيها او ينقص منها ، لا يعارضهم الهادي قولهم هذا ان تعلق بالموت ، قال تعالى « جاءت سكرة الموت بالحق نلك ما كنت منه تحيد » [ق : ١٩] فسمى سبحانه ما كان منه حقا ، ولكن الخلاف حول القتل ، هل يموت القتيل بأجله ؟ يرى الهادي ـ والقائلون بحرية الارادة ـ ان ارادة القاتل قد أنتفت بهذا القول ومن ثم فان المسئولية قد ارتفعت عنه ، فلو كان المقتول قد مات بأجله لنجا القاتل من المهالك ـ من القصاص في الدنيا والعذاب في الآخرة .

ولو كان القتيل يموت بأجله لما نهاهم الله عن قتل النفس التي حرم الله الا بالحق ، ولما امر بالاقتصاص من القاتل بقتله ، ولكنه سبحانه قد سمى ما كان منه من ماته حقا ، وما كان من العبد بغير حق ظلما* وجعل لولي القتيل سلطانا** ، واخبر ان القتيل قد قتل مظلوما اي ان له قاتلا ظلوما ، فان كان قد قتل بأجله فأي ظلم فيمن قد استوفى أجله وانتهى عمره وفنيت ارزاقه وانقضت ارماقه(٢١) ؟

وما قولكم فيمن حكى الله سبحانه عنهم : » ويقتلون بغير الحق نلك بما عصوا وكانوا يعتدون » [البقرة : ٦١] ، ايكون نلك من رب العالمين وهو يسمى قتلهم لمن قتلوا عصيانا وعدوانا ؟

إنكم تزعمون انه لن تخرج نفس من أحد ـ ممن حر او عبد ـ حتى يأتي أجله ويستوفى امله وكل عمله ونلك من الله ، فمن جاء بالقاتل الى القتيل ، الله جاء به وقضى عليه ؟ فلم جعله حراما وسماه عصيانا وعدوانا وجعل لولي القتيل سلطانا ، أليس إبليس هو الذي اغوى القاتل وزين القتل لديه ؟

وما قولكم في نهي الله عن قتل الاولاد : « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق » [الاسراء : ٣١] ، كيف نهاهم عن قتل من قد جاء أجله وحان موته .

ولماذا أمر الله رسوله والمؤمنين ان يأخذوا حذرهم واسلحتهم وقت الصلاة*** وما

---

(٢٠) الامام يحيى بن الحسين : رسائل العدل والتوحيد جـ ٢ ص ١٠٥ ـ ١٠٦

* الآية : ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق » [الانعام ١٥١]

** الآية « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا » [الاسراء : ٣٣]

(٢١) الامام يحيى بن الحسين رسائل العدل والتوحيد جـ ٢ ص ١٦٢ .

*** الآية « واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم . ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ... » [النساء ١٠٢]

نفع الحذر من قدر ان كان قد جاء اجلهم ، فان لم يكن قد جاء لم يقدر الكفار عليهم او عن ان ينالوا منهم مهما مالوا عليهم (٢٢) .

تعقيب : مع ان الخلاف بين الهادي والمجبرة حول الفاعل على الحقيقة في القتل : هل هو الله ام القاتل ومع ان المجبرة تقول عن القتيل إنه قد استوفى اجله الا انها في الواقع لا تنفي مسئولية القاتل او ضرورة الاقتصاص منه في الدنيا فضلا عما سيناله من عقاب في الآخرة . حقيقة ان منطق مذهبهم يلزم عنه انتفاء مسئولية القاتل او على الاقل تخفيفها الا ان لزوم المذهب ـ كما يقول اهل الكلام ـ ليس بلازم ، وانما حقيقة المشكلة بين الفريقين هي : هل كان القتيل يعيش لو لم يقتله القاتل ؟ وقد اختلفت الآراء في ذلك على ثلاثة مذاهب :

١ ـ انه كان يعيش : اذ الأجل بالقتل اجلان احدهما « **خرم** » وهو الذي قتل فيه المقتول ويسمى خرما لان القاتل خرم عمره أي قطعه ، والثاني أجل « مسمى » وهو القدر المفروض بعد القتل ، اي الذي لو سلم المقتول من القتل لعاش قطعا فيه حتى يبلغ اجله المسمى ، وذلك مذهب قدامى اهل البيت ومعهم الهادي البغدادية من المعتزلة .

٢ ـ انه استوفى أجله : فالاجل أجل واحد سواء بالموت او القتل ، اذ هو أجل محتوم في الحالتين ، ولا مجال لافتراض او تقدير حياة له لو انه لم يقتل ، وذلك قول المجبرة والحشوية والأشاعرة .

٣ ـ التوقف بين القولين : فجائز انه يعيش القتيل لو لم يقتل ، ولكن لا نستطيع ان نقطع بذلك ، وذلك مذهب الجبائيين (ابو علي وابنه ابو هاشم) واتباعهما والقاضي عبد الجبار والامام المهدي (أحمد بن يحيى بن المرتضى) والقرشي (٢٣) .

وتردد الحاكم الجشمي بين الرأيين الثاني والثالث ، فذهب الى ان التجويز بحياة المقتول لو لم يقتل جائز قبل وقوع القتل ، اما بعد وقوع القتل فلا تجويز ، اذ قد حصل موته بالقتل ولم يكن يجوز غير ذلك ، لأن الأجل هو وقت الموت وهو قد مات او قتل في ذلك الوقت فهو قد مات في اجله ، وربما كان رأي الجشمي اميل الى قول المجبرة في الاجل .

نعود الى الرأي الاول الذي يمثله الهادي لنتعرف على حجج القائلين به .

● روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وآله : الدعاء يرد القضاء والبر **يزيد في العمر** . وقال الامام علي عن صلة الرحم انها ثروة في المال **ومنسأة في الأجل** ، وذلك ما يدل على ان الاجل يمكن ان يزيد او يطول .

---

(٢٢) الامام يحيى بن الحسين : رسائل العدل والتوحيد الجزء الثاني ص ١٦٦

(٢٣) القاسم بن محمد وشرح الشرقي : الاساس وشرحه عدة الاكياس مخطوط تفضل الاستاذ عبد القادر عبد الله مشكورا باعارتي اياه ، والمخطوطة غير مرقمة .

● شرح الامام الهادي قول الله تبارك وتعالى : « ولكم في القصاص حياة » [البقرة : ١٧٩] بقوله : إن الحياة التي في القصاص هي ما يداخل الظالمين من الخوف من القصاص في قتل المظلومين اذ يرتدعون عن ذلك اذا علموا انهم بمن يقتلون يقتلون ، فتطول حياتهم (اي المظلومون) اذ ارتدعوا عن فسادهم ويتلكأون في قتل من به يقتلون .

● إنه اذا كان المقتول يموت بأجله وليس له الا اجل واحد للزم ان يكون محسنا من ذبح شاة غيره عدوانا لانه لو لم يذبحها لماتت حتما في رأي المجبرة ، ومن ثم فلا يلزم على من سرقها وذبحها عوض

● قصة قتل الخضر للغلام : إنه لو لم يقتله لعاش قطعا حتى يرهق ابويه طغيانا وكفرا كما أخبر عنه الله تعالى*

وفي رأيي ان الحجة الأخيرة اقواها وارفعها وادلها على ان للمقتول أجلين وان له عملا علمه الله تعالى لو انه قد عاش الى أجله المسمى .

خاتمة :

كره كثير من العلماء والفقهاء علم الكلام بدعوى انه كله كلام ــ اي جدل ــ وليس تحته عمل ، وغضب الرسول عليه السلام حين دخل المسجد فوجد اثنين يتخاصمان في القدر ، ولقد كان الهادي اماما وداعية ولم يكن متكلما او من اهل الجدل ، ومن ثم فانه عالج مشكلة القدر واثبت حرية ارادة الانسان بوصفه اماما ، اعني ان المعتزلة قد خاضوا في الموضوع في اصل العدل وذلك اصل عقائدي نظري بحت اما الهادي فقد ربط ربطا محكما بين حرية الارادة وبين مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو مبدأ عملي بحت ، كشف الهادي النقاب عن ان الجبر دعوى اتباع حكام الجور ومن هادنهم كما اكد ان القول بحرية الارادة لا بد ان يكون مبدأ الدعاة والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والناهضين لحكام الجور ومن ثم كانت خصومته للمجبرة خصومة مذهبية وسياسية ، والحق يقال اني وقد تخصصت في علم الكلام وتمرست في فهم اساليب المتكلمين لم اتبين جانب العمل في مشكلة القدر الا بعد قراءتي لما كتبه عنها الهادي ، ومن ثم فقد تبنيت الصلة الوثيقية بين الاعتقاد او اصول الدين وبين العمل ، تلك الصلة التي جعلت الأئمة والدعاة يتعمون في اصول الدين ويخوضون فيما خاض فيه المتكلمون وبذلك تسقط دعوى من كره الكلام لانه كله جدل ليس تحته عمل وانه لا غناء فيه .

غير اني لا ازعم ان كل ما قاله الهادي حق ــ فالعصمة لله ولرسوله فيما أوحي اليه من ربه ــ فلقد دفعه المجبرة الى مواقف دقيقة تحاشى الخوض فيها اشد المدافعين عن حرية ارادة الانسان من المعتزلة ولكنه كان مقداما في الفكر بقدر ما كان جرئيا في

---

* الآية : « فانطلقا حتى اذ لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا » [الكهف : ٧٤]
« ... وأما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان **يرهقهما طغيانا وكفرا** » [الكهف : ٨٠] .

الحرب ، من ذلك الرأي في معصية ابليس وفي خطيئة آدم وانهما ليستا مقدروتين من الله وما يلزم عن ذلك من افتراض امكان ان يظل ابليس بعد المعصية كما كان قبلها طائعا لربه وان لا يخرج آدم من الجنة * ، وما كان اغناه عن الخوض في هذا الغيب لو انه قصر امر الحرية على الانسان لا الجان ولا الشيطان ، ومنذ بدء حياة الانسان على الارض لا في جنة لا ندري اكانت في السماء هي ام في عدن باليمن !

هذه مقالة أردت ان اقدم بها لمثقفي اليمن على الخصوص نموذجا لذلك التراث الرائع الذي ما زال اكثره يقبع مخطوطا في المساجد والدور الخاصة ، ان فضل اليمن على العالم الاسلامي في هذا التراث ، وما نشر منه في العشرين سنة الماضية قد اسهم اسهاما كبيرا في الفكر الاسلامي اذ اطلعنا على علم غزير وبخاصة عن المعتزلة ، اما ان اعرض المثقفون عن تراث بلدهم لسبب او لآخر فاني اقول من لا ماضي له لا مستقبل له . الله يهدينا الى سواء السبيل ، وهو ولي التوفيق .

---

* لا اوافقه كذلك على تاويله لبعض الآيات منها تاويله للاية : ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خيرا لانفسهم . انما نملي ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين » [ال عمران : ١٧٨] وان المقصود هو املاء الله لهم كي لا يزدادوا اثما وليتوبوا ويرجعوا وان « لا » طرحت، وهو يريدها فخرج لفظ الكلام اخبارا ومعناه معنى نفي (ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦) اذ ان معنى الآية بذلك لا يستقيم ولكان في الاملاء خير للكافرين .